# صراع القوى الاستعمارية في الخليج العربي (البرتغال وهولندا أُنموذجاً)

# The struggle of colonial powers in the Arabian gulf (Portugale and The Netherlands as a model)

**م.د.علي فاروق الحبوبي** [1]

Lect. Ali Farouq Al Habboubi (PhD)

**الملخص**

تحاول هذه الدراسة ان ترصد مُعطيات صراع القوى الاستعمارية الدائر في منطقة الخليج العربي، منذ بواكير القرن السادس عشر الميلادي، التي مثّلتها البرتغال وهولندا, وما نتج عن هذا الاصطدام والصراع من تقلبات وتحولات أصابت خارطة القوى العالمية، كانت نتيجتها ارتفاع نسبة الهيمنة عند قوى وانخفاضها عند اخرى؛ وهذا يعود لعوامل مُتعددة أبرزها: التباين الحاصل بين القوى الاستعمارية فيما يخص الانظمة السياسية والادارية لاسيما عند الهولنديين, الذين اختلف نظامهم كثيراً عن بِنية النظام السياسي الخارجي البرتغالي, الذي بُنيَ على المبادئ الكلاسيكية القديمة للاستعمار العالمي ونهضَ على قواعدهِ وأولى هذه القواعد التوسل بالقوة لإخضاع الآخر.

**الكلمات المفتاحية:** الخليج العربي, الاستعمار البرتغالي, الاستعمار الهولندي, ألبوكيرك

## Abstract

This research appears the circumstances of the conflict that raged between the colonial powers dominating the Arab Gulf region since the beginning of the sixteenth century AD which is represented by Portuguese and Dutch colonialism and the clashes, intersections and political, military

١- جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الانسانية

and economic conflicts that led to the preponderance of forces over others due to several factors, the most important factor was the difference in the political system which is followed by the Dutch on the political system adopted by the Portuguese, which follows the pattern of the old traditional colonialism through the use of force to impose hegemony, in contrast to the Dutch.

**Keywords**: Arab Gulf, Portuguese colonization, Dutch colonization, Albukeark

## المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على سيد الامم محمد وعلى آلِ بيتهِ الطيبين الطاهرين, وبعد:

مثلت منطقة الخليج العربي مناخاً خِصباً يستقطب القوى الاستعمارية اللاهثة وراء التوسع والهيمنة على المناطق الرخوة في خاصرة الخليج العربي والمكتنزة بالموارد المتنوعة صناعياً وتجارياً، من اللحظة الاولى التي بدأت بها انظار الاستعمار الغربي تتجه نحو هذه المناطق، للافادة من كنوزها الجمة، وولدت نتيجة لهذه العناية صراعات عنيفة بين القوى الاستعمارية المستقطَبة الى منطقة الخليج العربي وباتت هذه المناطق تفورُ بالحركة وتمورُ بالنشاط السياسي والاقتصادي والتجاري والعسكري، وكان البرتغاليون والهولنديون من أهم القوى المتصارعة؛ للهيمنةِ على هذه المنطقة المركزية في الشرق، وقد أدى سباق الهيمنة هذا إلى اشعال صراعات عسكرية وسياسية وتجارية في المنطقة عامة، لم تنطفئ إلا بخروج هذه القوى من منطقة الخليج العربي، على يد حركة المقاومة العربية.

وقد كونت هذه النشاطات والصراعات الاستعمارية ملفاً تاريخياً صالحاً للقراءة لسبر اغوار اسرار تلك التقاطعات والصراعات الاستعمارية الدائرة في منطقة الخليج العربي؛ مما يتيح لنا الأفادة منها في الوقت الحاضر؛ لتجنُب تكرار تلك الحركات الاستعمارية، ولذلك جاءت دراستنا تحت عنوان: (صراع القوى الاستعمارية في الخليج العربي(البرتغال وهولندا أُنموذجاً))، في محاولةٍ لقراءة هذا المتن التاريخي قراءةً جديدة، وعدم استقبالهِ بجمود، والاكتفاء بهِ؛ لأن الحقائق التاريخية تُشكلُ خطاباً حيّاً قابلاً للاستدعاء والتطبيق على الحقب الحاضرة من التاريخ بعد تفكيكهِ وقراءة بِنيتهِ قراءات واعية تتعدى القراءات غير المنتجة الخاوية.

وقد انقسمت هذه الدراسة على تمهيد وثلاثة مباحث؛ فأمَّا التمهيد فقد كان عنوانهُ (منطقة الخليج العربي الموقع الجغرافي والأهمية الاستراتيجية)، وقد اعتنى بتهيئة القارئ للموضوع الرئيس، بعد بيان أهمية هذه المنطقة الاستراتيجية وموقعها, وأمَّا المبحث الأول فقد اعتنى بدراسة تاريخ (الوجود البرتغالي في الخليج العربي)، وتحليل أهم النصوص التي أسعفتنا بها المصادر التاريخية؛ للكشف عن اسباب الغزو، والعوامل المؤثرة فيه, وجاء المبحث الثاني ليهتم بدراسة تاريخ (الوجود الهولندي في الخليج العربي), ثم يأتي المبحث الثالث ليقترح دراسةً مُقارنةً بين القوتين الاستعماريتين، ويكشف عن مدى تفوق أحدهما على

الأخرى فكان عنوانه (صـــراع القوى البرتغالية والهولندية في الخليج العربي), وقد انتهى البحث بخاتمةٍ اشتملت على أهم النتائج التي توصل اليها البحث.

لقد أفاد البحث من جملة من المصـــادر التاريخية المهمة العربية والمترجمة التي كانت بمثابة المادة الأولية لهُ، وشـكلت منطلقهُ الأول، لكنهُ حاول أن يتداخل مع نصـوص هذه المصـادر، ويُدلي برأيهِ, ومن أهم تلك المصادر كتاب عبد العزيز عوض الموسوم بـ (دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث), وكتاب بدر الدين عباس الخصـوصـي ( دراسـات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصـر), وكتاب لوريمر (دليل الخليج), والسير أرنولد ت ويلسون (تاريخ الخليج العربي), وغير ذلك من المصادر المهمة.

**التمهيد: منطقة الخليج العربي الموقع الجغرافي والأهمية الاستراتيجية**

تقع منطقة الخليج العربي في جنوب غرب قارة اسيا على هيئة ذراع بحري يتصل طرفهُ الجنوبي بخليج عُمان, ثم البحر العربي فالمحيط الهندي, وينحصر بين خطي عرض ٢٤-٣٠/٣٠ شمالاً, وخطي طول ٤٨-٥٧ شرقاً, وتطل عليه من الشمال مقاطعة (عرب ستان) ومحافظة البصرة, ومن الشمال الغربي دولة الكويت, ومن الغرب مقاطعة الاحساء ودولة البحرين ودولة قطر, ومن الجنوب الغربي والجنوب دولة الامارات العربية المتحدة التي تضم( ابو ظبي, دبي, الشارقة, راس الخيمة, عجمان, ام القيوين, الفجيرة) وكذلك مضيق هرمز وخليج عُمان, ومن الشمال الشرقي والشرق ايران, وهو عبارة عن منخفض مائي كبير ضحل المياه نسبياً يبلغ متوسط عمقهِ حوالي (١٩) متر ويزداد العمق في الشرق كلما تقدمنا جنوباً حتى يصل بالقرب من مضيق هرمز حوالي (١١٠) متر, اما في الاقسام الغربية فيقل العمق حتى يصل (٣٧) متر, ويقدر طول الخليج العربي بحوالي (٦١٥) ميلاً أو (٩٩٠) كم اعتباراً من مصب شط العرب في الشمال حتى مضيق هرمز في الجنوب الشرقي, ويتراوح عرضهُ بين (٢٩) ميلاً أو (٤٧) كم عند مضيق هرمز, و(٢١٠) ميلاً أي حوالي (٣٤٠) كم في أوسع منطقة بالقرب من وسطه وشمالهِ, واما مساحة الخليج العربي الكُليّة فتبلغ حوالي (٩٢٥٠٠) ميلاً أو (٢٤٠٠٠) كم٢, وحجمُ مياههِ حوالي (٨٥٠٠) كم٢, وبذلك تكون مساحتهُ حوالي نصف مساحة البحر الاسود[٢].

وكشفت الدراسات الجيولوجية التي اجريت في الخليج العربي ان هذه المنطقة لم تكن على ماهي عليه الآن, وإنما طرأت عليها تغيُرات وتحولات وتطورات جيولوجية عبر الازمنة المتعاقبة, وقد تعرضت هذه المنطقة في خلال ذلك لعوامل التغيُر والتبديل, مما جعلها تكتسب صورة شكلها الحالي, ولم يقتصر هذا التغيُر الذي تعرضت لهُ منطقة الخليج العربي على سطحها فحسب بل شمل باطنها أيضاً, إذ بدَلَ من

٢ – عبد الرزاق الفهد, تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر, بغداد: د.ط, ٢٠٠٤م –, ص١.

طبيعتهِ التكوينية, ولا يُنكر ما يقوم بهِ كل من دجلة والفرات وشط العرب وكارون من إرساب مُستمر يؤثر فيها ويُغير من شكلها[٣].

ومما يُعطي منطقة الخليج العربي جانباً جغرافياً مهماً وجود مجموعة من الجُزر التي تزيد على ألـ(٢٠٠) جزيرة, بالقرب من سواحلها, وهي تتفاوت في مساحتها وأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية, فبالقرب من السواحل الشمالية الغربية تقع جزيرة بوبيان التي هي اكبر الجُزر وتقع عند مدخل خور عبد الله وأم قصر, وهناك جزيرة فيلكا ودوربة وأم المرادم وقاروة وأم النمل وعوجة, اما أهم الجُزر التي تُقابل الساحل السعودي فهي الجرير والكرين والكران, ثم تأتي مجموعة جُزر البحرين التي تتألف من (٣٣) جزيرة أكبرُها جزيرة المنامة ثم المحرق وسترا وأم الغسان, وتُقابل دولة الامارات العربية مجموعة كبيرة من الجُزر تزيد على ألـ(١٠٠) جزيرة أهمها طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى, وهناك مجموعة من الجُزر المهمة التي تقع بالقرب من مضيق هرمز أهمها جزيرة هرمز وقشم وهنكام ولارك وأم القُم وسلامة, اما اشهر الجُزر التي تُحاذي الساحل الشرقي من الخليج العربي فهما قيس و خارج[٤].

وقد ازدادت أهمية هذهِ المنطقة دولياً بعد القرن الخامس عشر الميلادي, لاسيما بعد حملة الاستكشافات الجغرافية, وبازدياد هذه الأهمية ازداد الصراع الاستعماري والسيطرة الأجنبية وكبر حجم التنافس من اجل التوسع والهيمنة والاستحواذ على مواردها الطبيعية وجُزرها الغنية بالثروات, ومن اجل ذلك احتدم الصراع بين القوى الاستعمارية وسُكانها الآمنين, ثم بدأ هذا الصراع يتحول من صراع بين الداخل والخارج الى صراع بين الخارج والخارج أي بين الدول الغازية المتصارعة نفسِها, مثلما حصل بين البلجيكيين والبرتغاليين من جهة وبينهم وبين الفرنسيين من جهةٍ أخرى, فضلاً عن الإنكليز والروس وباقي القوى الاستعمارية العالمية التي ظهرت حتى القرن العشرين[٥].

وقد استقطبت منطقة الخليج العربي القوى السياسية الاستعمارية واثارت اطماعها؛ لما تتمتع به من أهمية كبيرة في الميزان السياسي الدولي, فلهذه المنطقة موقعها الاستراتيجي الذي يتوسط العالم القديم, فضلاً عن تحكمها بطرق المواصلات التي تربط الشرق بالغرب ودورها البارز بوصفها جسراً للحضارة الإنسانية, وكانت النتيجة لكل هذا ان تحولت هذه المنطقة إلى ساحة لتنافس القوى الكبرى وصراعها من اجل السيطرة على اقطارها والتحكم بطرق مواصلاتها واستغلال مواردها الطبيعية[٦].

---

٣ – سالم سعدون, جزر الخليج العربي دراسة في الجغرافية الاقليمية, بغداد: دار الحرية للطباعة, ١٩٨١م –, ص٥.

٤ – عبد الرزاق الفهد, المصدر السابق, ص ١–٢.

٥ – سالم سعدون, المصدر السابق, ص ٢٢–٢٣.

٦ – سحر احمد ناجي, بريطانيا والخليج العربي خلال الحرب العالمية الأولى, بغداد: دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع –, ص٩.

## المبحث الأول: الوجود البرتغالي في الخليج العربي

إن الأهمية الكبيرة التي يتمتع بها الخليج العربي التي تُعزى إلى موقعه المهم، وكونه يتوسط العالم القديم ، وتسيده لطرق مواصلاته الني تربط بين شرقه وغربه، قد أثارت اهتمام الدول الاستعمارية منذ البواكير الأولى لظهور تلك الأطماع، فأصبح الخليج العربي من المحاور المهمة التي تكالبت عليها تلك الدول، وأعطته الأولوية الكبرى في سباق التنافس البغيض، للاستحواذ عليه وعلى خيراته، وكان للبرتغاليين قصب السبق في ذلك التنافس، فتم لهم السيطرة عليه، وعلى موارده لحقب ممتدة من الأزمان.

ويمكن استجلاء الاسباب التي أدت إلى ظهور البرتغاليين كقوة استعمارية مهيمنة في تلك المنطقة بخاصة والساحة العربية بعامة، إلى الأسباب الآتية[٧] :

١. تصدُّع المناطق العربية وتمزق أوصالها، نتيجة تردي الأطراف الحاكمة وسياساتها الخائرة، التي جعلتها تنشغل بخلافات سياسية ومذهبية لاطائل منها، مما مكَّن البرتغاليين وشجعهم على السيطرة على الأماكن الشرقية من المناطق العربية، وهذا لايعني انفرادهم في تلك السيطرة، فهناك الأسبان الذين مارسوا الضغط على الأماكن الغربية من تلك المناطق.
٢. كان للبرتغاليين رغبة أكيدة في احتكار تجارة الشرق، وبخاصة بعد عجزهم إيقاف الملاحة العربية، وحركتها الدائبة في المياه الهندية, ومن الممكن أن يكون ذلك دافعا للبرتغاليين للتوغل في مالقا, وجزر الهند الشرقية؛ لمنع التجار العرب من الوصول إلى مناطق أنتاج التوابل, فلما عجزوا عن ذلك؛ توجهوا إلى سواحل شبه جزيرة العرب، وهدفهم التغلغل في البحر الاحمر والخليج العربي.
٣. سيطرة النفس الصليبي الذي ماانفك يُهيمن على عقول عدد غير يسير من الضباط في البحرية البرتغالية، كالقائد الفونسو البو كيرك.

إن التجارة فيما بين الشرق والغرب سلكت منذ العصور القديمة أحد الطريقين: الطريق الأول تمثل بطريق البحر الأحمر ومصر، والطريق الآخر هو طريق الخليج العربي والعراق والشام، والطريقان كلاهما يخضعان للسيطرة العربية، ولم يسلم هذان الطريقان من الاغلاق، إذ إن الخلافات السياسية والمشاكل كثيرا ما كانت تتسبب في إغلاقهما، مما يؤدي إلى حرمان أوربا من النفائس الشرقية التي كانت تصدر إليها، باستثناء البضائع التي كانت تتخذ طرقا وعرة غير مأمونة، عن طريق آسيا الصغرى، ومن الأمور الجديرة

٧ – بدر الدين الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط٢، الكويت: منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٤م –، ج١، ص١٤.

بالإشارة أن هذه البضائع كانت باهظة الأثمان، مما يصعب على كثير من الأوربيين اقتناؤها، هذا فضلا عن الرسوم الكمركية العالية، وأجور التفريغ والشحن المتعددة، وهذا الطريق قد أصبح تحت السيطرة العثمانية فيما بعد، ذلك بعد سيطرتهم على القسطنطينية عام ١٤٥٣م. (٨)

لقد عمدت أوربا بعد فشل حملاتها الصليبية المتعددة لاستباحة مناطق الشرق العربي وغزوها، والسيطرة على الموارد والثروات الكبرى التي حباه الله بها، لاتخاذ وسائل أخرى بغية تحقيق المطامح الاستعمارية التي تصبو إليها، تمثلت بما أسموه (الاستكشافات الجغرافية)، وكانت بغيتهم التسلل من خلالها للمناطق الحيوية للبلاد العربية، ومن ثم إلى أفريقيا وآسيا بعامة، فكانت الأهداف الأولى التي رصدتها ما يسمى بالاستكشافات الأوربية هي السيطرة على ما يربط الشرق بالغرب من طرق تجارية مهمة، وكان من عوامل نشوء الاستعمار الرئيسة، هي ظهور الرأسمالية بكل صورها، وتبلور الثورة الصناعية وظهورها القوي آنذاك، وكانت أول دولة استعمارية سباقة في ذلك هي البرتغال التي أقدم ملكها هنري الملاح في الهجوم علي المدينة المغربية (سبتة)، وكان له احتلالها عام ١٤١٥م، وأعقبها باحتلال طنجة في عام ١٤٣٧م، وكان تطويق بلاد الاسلام جميعا في صدارة مخططاته، وكان البابا نيقولاس الخامس قد فوضه بالهيمنة على البلدان التي يقوم باحتلالها، فأوصل المسيحية إلى الهند،، وقد كان لوصول المستكشف فاسكو دي جاما البرتغالي، الذي ساعده ملاحنا العربي أحمد بن ماجد إلى المناطق الهندية، من خلال الدوران حول قارة أفريقية، ومن ثم توجهه من رأس الرجاء الصالح لبحر العرب، والمحيط الهندي، مثَّل ذلك البوادر الأولى لانقلاب خطير كان عماده الغزو والاحتلال، لغرض الهيمنة الموارد والثروات التي تنعم بها الدول المستعمرة، ولغرض تأمين مصادر الصناعات الجديدة وموادها الأولية، وبعد ذلك احتكار أسواق تصريف المنتجات.(٩)

فمفاد ذلك أن دافع التحركات البرتغالية الأول صوب عالمنا العربي عامة، والخليج العربي خاصة هو الرغبة في الهيمنة على التجارة وطرقها الرئيسة، عن طريق الهيمنة على مناطق الخليج، ويبقى الاقتصاد هو الدافع الرئيس والحقيقي، متلبسا بالدافع الديني الذي مثَّل غطاءً رسميا سيَّر تلك الحركة الاستعمارية، وسوَّغ للبرتغاليين أمام المجتمعات الأوربية التوغل في عالمنا العربي، وشرعن له السيطرة على المناطق التجارية والاقتصادية البارزة فيه.

---

١ – ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر، الدوحة: د. ط، ١٩٦٧م –، ج١، ص٣–٥؛ صباح إبراهيم الشيخلي وآخرون، دراسات عن تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية، جامعة البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٥م –، ص١٢.

٩ – محمد حسين العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط٢، الكويت: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٨م –، ص١٩؛ جمال حمدان، إستراتيجية الاستعمار والتحرير، القاهرة: دار الهلال، ١٩٦٨م – ص٦٤–٦٥.

وعلى أساس ما تقدم فقد وجَّه ملك البرتغال أسطولاً آخراً عام ١٥٠٦م إلى الشرق؛ لتقوية وجود البرتغاليين في سواحل الهند، وقد كان الفونسو البوكيرك من قادة ذلك الأسطول المكلَّف بإغلاق ما يستخدمه المسلمون من منافذ تجارية في الخليج العربي والبحر الأحمر، فافتتح البوكيرك نشاطاته بالسيطرة على جزيرة سو قطرة، المواجهة للسواحل الجنوبية لشبه جزيرة العرب، وعلى الرغم من كون تلك الجزيرة جرداء مسلوبة من مستلزمات الحياة إلا أنه أصر على اتخاذ منتصف الطريق بين الخليج العربي والبحر الأحمر قاعدة لينطلق من خلالها لإغلاق مضيق باب المندب، والحلول في عدن، وقد وصل إلى بغيته، فتمكَّن من تطويق باب المندب، ومنع التجار العرب من الوصول إلى الهند، وقد استطاع هذا القائد احتكار التجارة والانقضاض على حالة الرفاه الاقتصادي الذي كان ينعم به العرب على الرغم من انكفائه وفشله في احتلال مدينة عدن.(١٠)

ومن أجل الهيمنة على البحر الأحمر وإحكام السيطرة على التجارة وطرقها اتَّجه البرتغاليون يقودهم البوكيرك في عام ١٥٠٧م، ليفرضوا سيطرتهم على جزيرة هرمز، وفي هذا الوقت انطلقت حملتهم نحو الخليج العربي ترافقهم أساطيل من السفن الكبيرة، وصارت السفن العربية في مرمى نيرانهم، وقد أحرقت على إثر هذا الهجوم ٣٠ أو ٤٠ قاربا من قوارب الصيد، ومن ثم واصلت الحملة توغلها في جزر الخليج العربي فتوجهوا إلى قلهات، ثم إلى قريات، وأكثروا القتل وسفك الدماء في أهل هذه المناطق حتى استحالت هذه الحملة إلى مجازر بشعة، ومن جملة الفضائع التي اقترفوها قيامهم بقطع أنوف الأهالي وآذانهم، ومارسوا أعمال النهب والسلب، ثم اتجه قائد الحملة إلى مسقط فهاجمها لما تتمتع به من موقع استراتيجي حساس من الناحية التجارية، يتحكم في مداخل منطقة الخليج العربي، وهي مدينة مزدحمة سكانيا، تقع في طريق النقل البحري التي لا يمكن لأي سفينة تجارية إلا أن تمر بها. (١١)

لقد رأى قائد الحملة البوكيرك عدم جدوى محاصرة البحر الأحمر, إذ ادرك عدم تمكنه من مهاجمة عدن بالقوة العسكرية الصغيرة التي كانت تحت قيادته, فاتَّجه صوب الخليج العُماني, فوصل بجيشه إلى مناطق قريبة من جزيرة (مُصيرة)، عام ١٥٠٦م, بعد ذلك أمل البوكيرك إبحاره نحو رأس الحاد, وشنَّ عدوانا كبيرا على الموانئ العربية بدأه بإحراق أسطولا من السفن العربية التي كانت راسية في (خور فكّان), وكان عددها من ثلاثين إلى أربعين سفينة، وأحرق أيضا أربعين أخرى في رأس الحاد, وقد تعرَّض لمقاومات عنيفة من أهالي (صور) الواقعة إل الشمال من رأس الحاد, والتي امتهن أهلها الملاحة في منطقة الخليج العربي، ومنطقة المحيط الهندي, وتفاجئ هذا القائد بالأهمية القصوى التي كان يتمتع بها مضيق هرمز من

١٠ – طارق نافع الحمداني وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، بغداد: دار الورَّاق،٢٠١٠م –، ص٣٧؛ مصطفى النجار وآخرون، تاريخ الخليج العربي المعاصر، البصرة: جامعة البصرة، ١٩٨٢م –، ص١٢–٣٢.

١١ – محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، عمَّان: دار الإسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م –، ج١، ص١٦٨– ١٦٩.

الناحية التجارية، إذ كانت تُسيطر على أغلب المناطق الساحلية للخليج، وقد نظم قائد هذه الحملة ممارسات إرهابية منظمة لترويع أهالي السواحل العربية الجنوبية الشرقية, ودخل (قريات) وقام بمجزرةٍ رهيبة فيها، وأمر بنهبها، وقام بإحراق ثلاث وثمانين سفينةً كانت في مينائها.(١٢)

وبالنظر للمقاومة الكبيرة التي جابه بها أهل مسقط البرتغاليين، تلك المدينة التي كانت آنذاك ضمن مملكة هرمز، عمد البوكيرك إلى اتخاذ أعنف الاجراءات العسكرية لإنهاء مقاومتها فضربها بالمدافع، وقام بأحراق المباني والجوامع الموجودة فيها، ثم أحرق السفن الراسية من سلطان في مينائها(١٣)، ثم توجه بأسطوله إلى منطقة صحار وبعدها إلى خورفكان، ونتيجة لمقاومة أهلها فقد اتخذ ذلك القائد أعنف الاساليب التدميرية، إذ أنه بعد نهبه للمدينة قام بإحراقها وتدميرها والتمثيل بأهلها، بقطع أنوف الأسرى وآذانهم، ثم توجه أسطول البرتغال إلى هرمز، ونتيجة لذلك الضغط المتناهي في الفتك والتدمير فقد قام ملك هرمز بإعلان ولائه للبرتغال، وكانت هناك معاهدة أشارت نصوصها أن على ملك هرمز أن يدفع للبرتغاليين جزية سنوية، وقام البرتغاليون بمنع أية سفينة من الملاحة في الخليج إلا بتصريح من سلطات البرتغال، ففرضوا بذلك نفوذهم بطريقة متعسفة، ثم قاموا ببناء أكبر قلاع وحصون شيدها البرتغاليون على سواحل الخليج العربي والمحيط الهندي، متمثلا بحصن (النصر)، ومن أجل كسب أسواق التجارة للبرتغاليين قرر البوكيرك بأن تباع السلع البرتغالية بأرخص الأسعار، ترسيخا للهيمنة التجارية البرتغالية المطلقة(١٤).

وبهذا استطاع البوكيرك بالهيمنة على الموانئ العربية بعد ترويعها المفرط, وغدت مسقط وصحار وصور وقريات وقلهات، محطات لحماية هرمز والدفاع عن تجارتها لصالح البرتغال, وأصبحت هرمز ونظام حكمها المحلي في ظل حماية الدولة البرتغالية, لكن هرمز ما عادت كسابق عهدها، ازدهارا وعمرانا، نتيجة مغادرة كثير من سكانها إلى مناطق الخليج العربي الأخرى, ونتيجة لتحكم البرتغاليين بطرق التجارة التي تؤدي إلى هرمز، فقد مرت مناطقها بضائقات اقتصادية، وذا كان نتيجة طبيعية أيضاً لتنفيذ خططهم التي ترمي إلى إقفال الخليج العربي وفصله عن تجارة الشرق, والسيطرة على موانئ سواحل الخليج العربي, وبناء القلاع والحصون القوية، وبذلك سيطر البرتغاليون على الخليج العربي وتجارته، وقاموا باحتكارها ما يربو على قرن كامل(١٥).

---

١٢ – عبد العزيز عوض, دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث,بيروت: دار الجيل, ١٩٩١م –, ج١, ص١٩.

١٣ – سير أرنولد –ت– ويلسون، تاريخ الخليج العربي، ترجمة محمد أمين عبد الله، لندن: دار الحكمة، ٢٠٠١م –، ص٦٨–٦٩.

١٤ – محمد صالح العيدروس، المصدر السابق، ص٢١.

١٥ – عبد الأمير محمد أمين, المصالح البريطانية في الخليج العربي١٧٤٧–١٧٧٨م –, بغداد: مطبعة الإرشاد, ١٩٧٧م –, ص٩.

وقد اتخذ البوكيرك قرارا للعودة مرة أخرى للخليج العربي، بعد أن أصبح نائباً للملك البرتغالي في الهند عام ١٥٠٩م، لكن تنفيذ ذلك القرار لم يتكلل بالنجاح إلا بعد أعوام عدة؛ لانشغال ذلك القائد في انتقال المقر الرئيس للبرتغاليين إلى منطقة (جاوة) الواقعة على سواحل (المالبار), وانشغل أيضا في ترتيب قرصنة البرتغال ضد سفن العرب والمسلمين، بغية استئصال جذور نشاط العرب التجاري في عموم المحيط الهندي, وقد تحالف البوكيرك مع الطائفة الهندوسية ضد مسلمي الهند, وانشغل كذلك في إعداده لحملة على منطقة مالقا؛ وغرضه منع تجار العرب من التجارة مع الشرق الأقصى, وذلك كله هو الذي حد من معاودة النشاط الذي عزم عليهِ في الخليج العربي إلى حلول شباط عام ١٥١٥م، إذ انطلق من منطقة جاوة بصحبة إسطول يتكون من أربع عشرة سفينة، تقُل ما يقدر بـــ ١٥٠٠ جندي برتغالي, و٦٠٠ جندي ماليباري, و٣٠٠جندي من العبيد, فكان له الوصول قرب رأس الحاد بتاريخ ٢١ اذار ١٥١٥م, وفي يوم ٢٥ اذار من السنةِ ذاتها وصل أسطوله إلى (قريات)، وحاكمُها في ذلك الوقت هو الرئيس حمد ابن اخ مستشار ملك منطقة هرمز الرئيس نور الدين.(١٦)

ونظرا لظهور قوى أخرى منافسة للبرتغاليين، بدأت بالانتشار في منطقة الخليج العربي، فإن هيمنة البرتغال على سواحله وموانئه لم يكتب لها الدوام طويلا، وأصبح البرتغاليون يغيّرون سياساتهم الفاتكة التي درجوا عليها، فتارة يستعملون القوة، وأخرى يستعملون اللين والسياسة؛ للتشبُث بمناطق الخليج العربي التي سيطروا عليها، وكي يتحكموا بثرواته وبمراكز قوته.

ومن الأوراق المهمة التي كانت بين أيدي البرتغاليين، والتي حشدوها للتشبث بالمكاسب التي حصلوا عليها في الخليج العربي تحالفهم مع الشاه إسماعيل الصفوي، مؤسس الدولة الصفوية، والمهيمن على عرشها، وكانت بنود معاهدة التحالف بينهما تقضي بتقديم أسطول البرتغال لمساعدة اسماعيل الصفوي لبسط سلطته على البحرين والقطيف، نظرا لافتقار تلك الدولة للقوة البحرية، وبالمقابل فإن الشاه يسلِّم بالحماية البرتغالية لمنطقة هرمز، ويقوم بالتنازل عن أحد الموانئ الواقعة على ساحل بلوشستان، وهو ميناء جوادر، وأيضاً تقوم الدولتان بمساعدة بعضهما للوقوف ضد الدولة العثمانية(١٧).

ومن جانب آخر فإن الإنكليز بدأوا يعززون علاقاتهم التجارية مع دولة فارس الصفوية، وكانت رؤية الشاه تتجه إلى تفضيلهم على البرتغاليين، وقد سارع إلى إعطائهم امتيازات لإقامة وكالة تجارية في منطقة (جسك) المطلِّة على خليج عُمان، لتلافي مرورهم بمركز هرمز، ومن ثم تعرضهم للغارات التي قد يستهدفهم بها البرتغاليون من حصونهم الموجودة في تلك المنطقة، وعلى الرغم من ذلك فقد صمم

١٦ – صلاح العقاد, التيارات السياسية في الخليج العربي, القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية, ١٩٧٤م –, ص١٧.

١٧ – صلاح العقاد، المصدر السابق, ص ١٨؛ عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩١م –، ص١٣٠-١٣٣.

البرتغاليون على قطع الطرق البحرية على التجارة الانكليزية الفارسية، والحيلولة دون انسيابها، وحين خرجت أول قافلة إنكليزية من (سورات) في الهند متجهة إلى فارس اعترض البرتغاليون سبيلها، وبالفعل فإن البرتغاليين قاموا باعتراض القافلة الإنكليزية الأولى التي قدمت من سورات في الهند، وأدى هذا إلى اشتباك وقع بالقرب من(جسك) عام ١٦٢٠م، وقد حسم الاشتباك لمصلحة أسطول الإنكليز[١٨].

لقد كان عام ١٦٢٢م هو العام الذي تغيرت قي المعادلة الاستعمارية ، ورجحت فيه كفة الانكليز بمساعدة الفرس، على حساب البرتغاليين، فاستولى الانكليز والفرس على المركز الحصين للبرتغاليين في هرمز في ذلك التاريخ، وشرع اليعاربة العمانيون بعد أن أسسوا دولتهم عام ١٦٢٤ م، بإتمام ما بدأه الإنكليز والفرس، فانتزعوا المناطق المتبقية تحت سيطرة البرتغاليين، إذ استطاع ناصر بن مرشد إمام اليعاربة وقائدهم من انتزاع صحار وجلفار وقريات منهم، واضطرت الحامية البرتغالية الرئيسة الموجودة في مسقط إلى الركون لطلب الأمان ثم إبرام الصلح مع يعاربة اليمن عام ١٦٤٨م، وذلك بعد انتصاره الكبير عليهم، وقد الزمهم بهدم قلاعهم، وعادت للعرب أحقيتهم في الملاحة، وأصبح رعايا ناصر بن مرشد معفويين من الضرائب والرسوم على البضائع الداخلة إلى مسقط والخارجة منها، وبعد تولية سلطان بن سيف الحكم على إثر وفاة الامام ناصر عام ١٦٤٩ م، اتخذ سيرة سلفه في جهاد البرتغاليين، فاستولى على مدينة مسقط عام ١٦٥٠م، وبسقوطها فقد هوى آخر المواقع الحصينة للبرتغاليين في الخليج العربي[١٩].

وقد مثَّل خروج البرتغاليين من المنطقة فرصة سانحة لمستعمرين جدد للتغلغل في الخليج، فكان للإنكليز والفرنسيين والهولنديين دور كبير في ذلك، وقد دخلت هذه القوى الأوربية في نزاعات وصراعات في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر.[٢٠]

وهناك أسباب متعددة ساهمت بإضعاف البرتغاليين في منطقة الخليج أهمها [٢١]:

أولاً: إن قوة البرتغال أخذت بالضعف في الخليج منذ أن انضمت لأسبانيا عام ١٥٨٠م, وظهر الاتحاد البرتغالي الأسباني إلى الوجود، فقد بدا ذلك الضعف بجلاء خلال المحاولات البرتغالية الفاشلة في الوقوف أمام السفن الإنكليزية لمنعها من الدخول إلى ميناء جسك، وحينها انقلبت الأمور

١٨ – صلاح العقاد، المصدر السابق، ص٢٣؛ انطوان متي، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني حتى الثورة الإيرانية، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٣م –، ص٥٦–٥٧.

١٩ – بدر الدين الخصوصي، المصدر السابق, ج١، ص٣٢–٣٤؛ محمد العريس، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني – ، بيروت: منشورات دار اليوسف، ٢٠٠٥م –، ص٨٤.

٢٠ – عبد الأمير محمد أمين، دور القبائل العربية في صد التوسع الأوربي في الخليج العربي، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ، بغداد: مطبعة أسعد،١٩٧٤م –، ص٦٥٦–٦٥٧.

٢١ – عبد العزيز عوض, المصدر السابق, ج١, ص٧١–٧٧.

على البرتغاليين بعد سيطرة على الخليج نافت على قرن من الزمان، متفردة في ذلك من دون منافسة من أية قوة أخرى، وقد حمل لنا القرن السابع عشر وعقده الثالث بالذات طموحات كبيرة لأسبانيا، وهذه الطموحات جعلتها تحارب في أغلب الجهات والأمكنة، فتحملت البرتغال أوزار تلك السياسة الطموحة لأسبانيا, فاضمحلت تجارتها وضعفت، وعلى وجه الإجمال فإن تداعيات الاتحاد البرتغالي الأسباني كان لها الدور المهم في رسم نهايات الهيمنة البرتغالية على الخليج، ومنطقته برمتها.

ثانياً: كان لمنافسة الإنكليز والهولنديين للبرتغال في تجارة الشرق دورٌ فاعلٌ في الانقضاض على الهيمنة البرتغالية وإضعافها؛ فقد كانت منافسة تلك الدولتين منافسة منظمةً تكفلت بها الشركات التجارية المعتمدة على القوات العسكرية المدربة والمنضبطة, وعلى أجهزة اداريةٍ تصرف رواتب جيدة لمنتسبيها, واعتمدت على موارد ساهمت بها قطاعات كبيرة وواسعة من شرائح المجتمع الهولندي والإنكليزي, في حين كانت تجارة البرتغال حكراً خالصاً ببلاط البرتغال ورجالاته, وعلى هذا النحو فقد أدى بروز الهولنديين والإنكليز كمنافسين تجاريين إلى اضعاف البرتغاليين وإنهاء هيمنتهم على منطقة الخليج.

ثالثاً: كان لموقف الدولة الصفوية متمثلة بعباس الصفوي من سيطرة البرتغال على الخليج العربي دور مهم في إضعاف البرتغاليين، والحد من نفوذهم، فأصبح وضعهم في غاية الحرج في المنطقة الساحلية الفارسية للخليج ، وتعذر على السفن البرتغالية توفير التجهيزات والامدادات من موانئ البلاد الفارسية, وعلاوة على ذلك فإن الفُرس قاموا بعمليات حربية ناجحة ضد مراكز البرتغال, فأصبح مركزهم العسكري في غاية الحرج في الخليج منذ العام ١٦٠٢م حينما طرد الصفويون بقيادة الشاه عباس البرتغاليين من منطقة البحرين، فكان المردود السلبي على السمعة العسكرية لهم كبيراً جداً.

رابعاً: تَمكُنُ اليعاربة العُمانيين من طرد البرتغاليين من منطقة صحار في عام ١٦١٦م, وأيضا من جلفار في عام ١٦٢٠, فكانت المقاومة العربية متمثلة بعرب عُمان، ونشاطاتها من بين العوامل بالغة الأهمية التي أنهت وجود البرتغال في منطقة الخليج العربي.

خامساً: كان هناك أجماع للمؤرخين على أن فساد الحكام والمسؤولين البرتغاليين وإساءتهم في استعمالهم للسُلطة، وابتزازهم الأموال، وانتشار الفساد والرشوة، واستشراء عمليات القرصنة التي أصبحت ظاهرة عامة لحكم البرتغال في الشرق نهاية القرن السادس عشر أسهم ذلك كُلهُ في إضعاف السيطرة البرتغالية المعتمدة على القوة البحرية؛ فلذلك تعذَّر على البرتغاليين الصمود أمام أعدائهم الذين يمتلكون قدرات كبيرة مقارنة بالقدرات البرتغالية الاقتصادية والبشرية.

سادساً: إن التعصب البرتغالي والقسوة المفرطة والجشع الشديد لم يجعل البرتغاليون ينجحون في كسب ثقة سكان المنطقة وتجارها المحليين وإحراز احترامهم، بل إنهم على خلاف ذلك اسرفوا كثيرا في

استعمالهم للقوة للسيطرة على المياه الشرقية، وتميز حكم البرتغاليين للشرق بالوحشية الكبيرة في معاملتهِم للسكان، وفي محاولتهم إرغامهم على اعتناق المسيحية, بالإضافة إلى اتباعهم لسياسة البطش والقهر، واستغلال في استثمارات الشعوب الاقتصادية، وكذلك تعزيز حامياتهم في منطقة الخليج العربي؛ فعمل ذلك على مضاعفة عداء الشعوب لهم.

إن ما تقدم يكشف لنا بجلاء الأسباب الكامنة وراء اضمحلال قوى استعمارية كبيرة وانهيارها، تلك الدول التي كانت تتحكم في مصير المساحات الشاسعة والمدن والموانئ الكبيرة الواقعة على الخليج العربي, مما جعل قوىً استعمارية أخرى جديدة تبرز على ساحة الأحداث ويكون لها الدور الفاعل في المنطقة بعد ذلك، وخاصة بعد ان ظهرت الأهمية المركزية للخليج على الساحة بصورة لافتة، فانكشفت الأهمية الاستراتيجية للخليج العربي كونهِ يمثل نقطةً الهيمنة المركزيةً، والمفصل الحيوي المهم للاستحواذ على التجارة، وما يتعلق بها من الثروات لدعم إمكانات قوى الاستعماري الجديدة في إحكامِ السيطرة، وتوسيع النفوذ على مناطق جديدة، لم تكن في ظل سيطرتها, وبدأت من هناك بواكير صراع بين قوى الاستعمار المتعددة تطفو على سواحل الخليج العربي.

**المبحث الثاني: الوجود الهولندي في الخليج العربي**

لم تزل منطقة الخليج العربي محطَّ أنظار القوى الاستعمارية المختلفة، بالنظر لأهميتها الإستراتيجية، ومن بين تلك القوى الاستعمارية المتنافسة كانت هناك قوى ضعيفة في مناطقها وبلدانها، فحاولت استعراض قوتها أمام القوى الاستعمارية الكبرى التي كانت مهيمنه آنذاك، عن طريق الشروع بالسيطرة على الخليج العربي، وموارده الاقتصادية والتجارية، وقد كان لها الحصول على موطئ قدم بين أصحاب النفوذ من الدول الاستعمارية المتسلطة، وكان الهولنديون في صدارة تلك الدول التي بزغ نجمها بعد انتهاء سطوة البرتغاليين آنذاك، وذلك بعد أن شرعوا بفل عرى التبعية لغيرهم، وفكروا في الوصول للاستقلال العسكري والسياسي والتجاري عن قوى الاستعمار المهنية في ذلك الوقت كالأسبان.

وقد بدأ الهولنديون بالتمرد الفعلي على الإسبان عام ١٥٦٦م؛ بعد أن ضاقوا بالممارسات القمعية المتمثلة بمحاكم التفتيش، والاضطهاد الديني، ولما لقيته السفن الهولندية من معامله سيئة في الموانئ الإسبانية، لهذا كله شرع الهولنديون بإعلان الاستقلال عن الدولة الاسبانية عام ١٥٨١ م، وكان رد ملك أسبانيا فيليب الثاني (١٥٥٦ _١٥٩٨م) على ما تقدم بإغلاق الأسواق في لشبونه، وكذلك الموانئ في شبه جزيرة إيبيريا أمام السفن الهولندية، وتحريم نقل بضائع الشرق عليها من لشبونه، وقد كانت ابان القرن السادس عشر الميلادي مخزن تجارة الشرق الرئيس، إذ أن الموزعين الهولنديين كانوا يأخذون منها حاجه أسواقهم من بضائع الشرق التي يفضلها الأوروبيون آنذاك، ونتيجة القرار الذي أصدره فيليب الثاني، كنتيجة للحرب الهولندية الإسبانية إلا إن المصانع الهولندية قد ازدهرت إلى حد ما، وتوسع التبادل التجاري فيها بين

الهولنديين وبين الدول الاخرى، ولعدم الرغبة من لدن التجار الهولنديين باستمرارهم بدفع مبالغ باهظة كان البرتغاليون يفرضونها عليهم، فقد كان قرار الهولنديين هو التوجه نحو البحار الشرقية ساعين للوصول الى سلع ومنتجات الشرق من المصادر المباشرة لها وكان ذلك بمثابة ضربة قوية لاحتكار البرتغاليين لتجارة الشرق, وذلك بعد أن انكشفت لهم القدرة على الوقوف أمام قوة البرتغال وتحديها في الشرق، وبخاصةً بعد أن أضحت البرتغال جزءاً من امبراطورية أسبانيا عام ١٥٨٠م.(٢٢)

وهنا ينكشف لنا كيف كان للتضييق في الحصار على الهولنديين من لدن البرتغاليين والأسبان، في حصول هولندا على بضائع الشرق من دورٍ كبير في الاتجاه بهم إلى التفكير في الاتصال بالشرق، وفعلاً كانت لهم محاولات كثيرة في ذلك المنحى، غير أن تلك المحاولات كان نصيبها الفشل؛ وذلك عدم معرفتهم بالطرق التي كان البرتغاليون يسلكونها، ونتيجة ذلك حاولت حكومة هولندا السير في أساليب وطرق صحيحة؛ للوصول إلى غاياتها، وذلك عن طريق أسلوبين: الأول منهما يتمثل بإرسال البعثات التجارية، والثاني يرمي إلى تأسيس شركات تجارية، لهذا عمد الهولنديون لتجنيد أشخاص، استطاعوا مرافقة أساطيل البرتغال، والاضطلاع بخبرات القائمين عليها، وتمثل ذلك بما قام به (يان تيشوتن) من دور في ذلك والذي كان من أبرز من رافقوا البرتغاليين، فقد أفادت المعلومات التي اكتسبها كثيرا، وأيضاً اعتمد الهولنديون على جهود تجار آخرين، كان من بينهم (هوتمان) الذي أرسلوه إلى مدينة لشبونة؛ من أجل دراسة التجارة الشرقية وأحوالها، وعُدَّت تلك الرحلة فاتحة الرحلات باتجاه المحيط الهندي.(٢٣)

وقد دأبت مؤسسات التجارة في هولندا عام ١٦٠٢م في البحث عن موضوعات في توحيد مؤسسات التجارة في هولندا، والسعي إلى تكوين شركة رصينة قادرة على الاضطلاع بمهمات المنافسة الحقيقية، لذا كان أمر الملك الهولندي لجميع مؤسسات التجارة الهولندية بالاتحاد مُجدياً، فتأسست الشركة الهندية الهولندية، وقد مُنِحتْ تلك الشركة الحق في مزاولة التجارة مع الشرق، وأيضاً عقد الاتفاقات والمعاهدات وتأسيس القواعد التجارية، وتحولت هذه الشركة حينها إلى إدارة للاستعمار الهولندي، وعندها أصبحت داخلة مع قوى أوربا في صراعات كبيرة، وكان لأعضاء تلك الشركة النجاح في التقرب من سلاطين المناطق التي تاجروا معها وحكامهم، ونجحوا أيضاً في التقرب من البلاد الفارسية للحصول على كثير من

٢٢ – عبد العزيز عوض, المصدر السابق, ج١, ص ١٨٢.

٢٣ – هيفاء عبد العزيز الربيعي، الغزو الهولندي للخليج العربي، الموصل: مطابع دار الكتب، ١٩٨٩م –، ص٢٢–٢١ ؛ سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢م –، ص٦٠–٦٢.

الامتيازات المهمة، فبسط الهولنديون سلطتهم التجارية على تلك المناطق، وكان لهم أن يستعمروا أجزاء منها، وقد اخضعوا تلك المناطق تحت سيطرتهم بصورة فعلية.(٢٤)

وقد أظهر ادِّعاء الهولنديين بكون مجيئهم هو لمساندة الإنكليز وقوتهم البحرية ضد البرتغال، بأنهم أشدُّ قوة من الأوقات السابقة، غير أن المصالح الهولندية الإنكليزية سرعان ما اصطدمت، بعد أن خلص الأمر لهاتين الدولتين على وقع انكفاء البرتغاليين وطردهم من هرمز، فقد أصبح سعي الهولنديين لكسب الامتيازات من البلاد الفارسية شغلهم الشاغل، فأثمرت جهودهم بالحصول حق تأسيس وكالة في مدينة بندر عباس(٢٥)، فبدأ نفوذ هولندا ونشاطهم التجاري في البلاد الفارسية عام ١٦٢٣م، حينما تمت لهم الموافقة من لدن حكومة فارس في تأسيس وكالة جزيرة هرمز، ثم نقلوا تلك الوكالة إلى ميناء بندر عباس ثم إلى مدينة أصفهان، وقد افلحوا بالمباشرة بإرسال قوارب السُكر إليها في مقابل الحرير الذي كانوا يشتروه من تلك المدينة.(٢٦)

وقد ازداد التوغل الهولندي في الخليج العربي بعد عام ١٦٣٠م، بوساطة وكالات التجارة الهولندية في أصفهان وبندر عباس وقشم, وقد تعاونت هولندا مع إنكلترا مدة من الوقت ضد شاه فارس صفي، الذي أعقب الشاه عباس بعد وفاته عام ١٦٢٩م، على خلفية تهديده بإنهاء الامتيازات الخاصة بتجارة الحرير الفارسي والتي منحتها فارس للهولنديين والإنكليز, غير أن الشركة الهولندية تراجعت وعادت لتوثيق علاقاتها مع (خان شيراز) الذي تكفَّل بتجهيز حملة هدفها الاستيلاء على مسقط عام ١٦٣٢م، بعد وعودها له بمساعدة عسكرية يقدمها الهولنديون شبيهة بما قدمته الشركة الإنكليزية للشاه السابق عباس الأول من أجل استيلائه على جزيرة هرمز في عام ١٦٢٢م, وكان انتفاع الشركة الهولندية من وعدها كبيراً؛ إذ قامت في عام ١٦٣٣م بتبادل تجاري ونقل كميات كبيرة جداً من البضائع الفارسية والهولندية, وتم لها الحصول على الإعفاء الجمركي, وقد قُدِرت البضائع السنوية التي تم نقلها منذ عام ١٦٢٥م، إلى عام ١٦٣٣م، بمبالغ تتراوح بين (٣٠٠٠٠-٤٠٠٠٠) تومان سنوياً. (٢٧)

وكانت روح المنافسة الملتهبة بين الهولنديين والإنكليز تتصاعد، ويتصاعد معها النفس العدائي بينهما، فقد كانت هناك محاولات عديدة من الهولنديين لإبعاد الإنكليز من حقوق وامتيازات التجارة مع فارس، وكذلك ابعادهم عن الخليج العربي باستعمال أساليب متعددة، من ضمنها رفع الأسعار للمنتوجات

---

٢٤ – قدري قلعجي، الخليج العربي بحر الأساطير، ط٣، بيروت: شركة المطبوعات، ١٩٩٥م –، ص٣٨٤_٣٨٥؛ عبد الرزاق الفهد، المصدر السابق، ص٢٥.

٢٥ – محمد حسين العيدروس، المصدر السابق، ص٣٩.

٢٦ – سير أرنولد. ت. ويلسون، المصدر السابق، ص١٣٨-١٣٩؛ علي غنام، أحداث فاصلة في إحتلال النفوذ الأجنبي بالخليج العربي،مركز دراسات الخليج العربي – –، مجلة – –، البصرة ١٩٨٥م، العدد٢، ص١٨- ١٩.

٢٧ – عبد العزيز عوض, المصدر السابق, ج١, ص ١٩٣.

الفارسية، كذلك بيع سلع مستوردة تكفلوا بجلبها بأقل كلفة، هذا كله أدَّى لتمكين الهولنديين من التفرد بتجارة الخليج في القرن السابع عشر الميلادي[٢٨]، ومن أجل تعزيز ذلك أرسلوا في العام ١٦٤٠م أسطولاً بحرياً قوامه ثمان من السفن إلى مدينة البصرة، وأنزلوا البضائع جميعها في منطقة المناوي، فكان لتلك الكميات من البضائع تأثير كبير على أسعار السلع الإنكليزية في مدينة البصرة.[٢٩]

وهكذا استطاعت الشركة الهولندية إحكام قبضتها على التجارة الخاصة بالتوابل والبهار في منطقة الخليج العربي وبلاد فارس, واحتكرت التصدير للبضائع الفارسية، وأضحت التجارة في الخليج العربي في ظل الهيمنة الهولندية, وكانت أكثر البضائع والسفن في بندر عباس عائدة إلى الشركة الهولندية، وبذلك تبين رجحان كفة الهولنديين على الإنكليز، واتضح تفوقهم، وهو ما حدى بالإنكليز وأرغمهم للتوجه إلى البصرة في عام ١٦٤٣م، من أجل إقامة الوكالة التجارية الأولى فيها، بالرغم من مُماطلة الشركة الإنكليزية متمثلة بوكلائها في بلاد فارس، بتنفيذ تعليمات رئاسة الشركة الإنكليزية، في غلق وكالتها في مدينة أصفهان، ونقل الممتلكات العائدة إليها من بندر عباس إلى ميناء البصرة لإحراز وضمان سلامتها، وذلك في حزيران عام ١٦٤٥م.[٣٠]

وبذلك كان فترة مُنتصف القرن السابع عشر الميلادي حافلةً بانتقال سيادة المياه الشرقية من البرتغاليين إلى الهولنديين الذين سيطروا على أسواق التجارة في بلاد فارس ومنطقة الخليج العربي, ولم يتبقَ لتجارة إنكلترا أثر فعَّال في الأسواق المذكورة, وقد يُعزى هذا إلى اعتقاد سائد في الأوساط التجارية بحل الشركة الإنكليزية, وبهذا فقد بلغ نفوذ الهولنديين ذروته, وحصلوا على امتيازاتٍ كثيرة أخرى من سلطات بلاد فارس عام ١٦٤٩م, واستثمروا ذلك لإرغامهم في الخضوع لمطاليبهم، وبخاصة بعد تعزيز موقفهم في منطقة الخليج، بعد نجاح العرب في منطقة عُمان بطرد بقايا البرتغاليين من منطقة مسقط عام ١٦٥٠م؛ بعد خِلو منطقة الخليج العربي من قوى أوربا التي كانت منافسة للهولنديين.[٣١]

---

٢٨ – قدري قلعجي، المصدر السابق، ص ٣٨٦.

٢٩ – ج.ج. لوريمو، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٦٧– ١٧٦٩م؛ سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج العربي، بغداد: د. ط، ١٩٦٦م –، ص٤٤– ٤٦.

٣٠ – عبد العزيز عوض, المصدر السابق, ج١, ص ١٩٤.

٣١ – محمود علي الداود, تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي١٦٣٠–١٧٦٠م, مجلة كلية الآداب – –, مجلة –, جامعة بغداد, العدد٣ –, كانون الثاني ١٩٦١م, ص٢٦٤.

لقد كان إسهام هولندا في القضاء على هيمنة البرتغال في منطقة الخليج سبباً رئيساً للتقرب العُماني الهولندي ، وفقاً لمصالح الدولتين التجارية، فقد كان الازدهار التجاري لهولندا بارزاً من خلال حجم التجارة وزيادتها الكبيرة، وكذلك السفن التي تصل إلى بلاد فارس، والخليج العربي.(٣٢)

ونظراً لما تحقق من نجاحات أنجزها الهولنديون في منطقة الخليج العربي بشكلٍ خاص، وفي مناطق الشرق عامةً، على المستويات التجارية والسياسية, فقد تحركت قوى الاستعمار المنافسة لهم نحو تغيير مسارات علاقاتها السياسية التي تربطها بفارس، وبعض القوى في البلاد العربية التي كانت مُسيطرة آنذاك, وذلك لخدمة مصالحها، وتعزيز وجودها التجاري والسياسي في تلك المنطقة.

ولم تسلم العلاقات الهولندية الفارسية من تعرضها إلى هزّات كثيرة وكبيرة، تمثل أهمها بما حصل عام ١٧٠٨م، حينما قام الإنكليز بتحريض الشاه ضدهم، فقام الأخير بإلغاء كثير من امتيازات التجارة الهولندية؛ فقام الهولنديون على إثر ذلك بتدمير ميناء (بندر عباس)، واحتلال مدينة (قشم)، ثم شرعوا بالدخول في مفاوضات مع شاه فارس الذي قدم طلباً فيها للقضاء على القوة العربية العُمانية، بيد أن هولندا لم تستجب لذلك الطلب ورفضته، وبعدما وصل (نادر شاه) عرش بلاد فارس عام ١٧٣٦م شرع الهولنديون بإبداء التقرب منه، وقاموا بمساعدته في القضاء على بعض المتمردين في بلاده، غير أن أحوالهم التجارية ظلت مُتردية، إلى الحد الذي حَدا بهم إلى غلق وكالتهم التجارية في ميناء بندر عباس عام ١٧٤٨.(٣٣)

وقد شهدَ العام ١٧٥٣م توجه سفن هولندا إلى جزيرة خرج لفتح مقر تجاري لهم فيها، وشرعوا ببناء قلعة عسكرية وقاموا بتحصينها، وكان ذلك مخالفاً للاتفاق المبرم مع المير مهنا حاكم بندريق، مما أدى لإثارة ذلك الحاكم وإثارة سكان المنطقة جميعاً؛ فظهر الهولنديون من خلال الاستحكامات التي اتخذوها في الجزيرة أنهم جاؤوا مستعمرين لتلك المنطقة، وليسوا تجاراً، كما يدَّعون، وهذا الحدث أثار كثيراً حفيظة الإنكليز.(٣٤)

وقد شرع الهولنديون بالتعرض لبعض سفن العثمانيين عام ١٧٥٤م ، في محاولة لبسطِ النفوذ على تلك المناطق، فأجبروا العثمانيين على القيام بدفع مبالغ مالية لهم، وقد قام الإنكليز بالتصدي للنفوذ الهولندي، غير أنهم فشلوا في أول الأمر، وقد أُغتيل المير ناصر خلال تلك المنافسة المحتدمة، وتولى المير

---

٣٢ – جمال زكريا قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول ١٥٠٧– ١٨٤٠، القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت –، ص٩٣– ٩٥.

٣٣ –محمد حسين العيدوس، المصدر السابق، ص٤٧– ٥٧؛ عبد الأمير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد: د. ط، ١٩٦٦م –، ص٨– ٩.

٣٤ – صبري فارس الهيتي، الخليج العربي دراسة جغرافية السياسية، ط٢، بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م – ص ٣٦– ٣٨؛ عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، الرياض: د. ط، ١٩٨٠م –، ص٤٥– ٤٦.

مهنا عام ١٧٥٤م الحكم من بعده [٣٥]، وقد شرع الأخير بالقيام بكثير من العمليات العسكرية، تمثَّل أهمها بمُهاجمة تموينات الهولنديين القادمة من بوشهر، وقد أرسلَ ذلك الأمير مئتي رجل من رجالهِ كي يهاجموا حصون الهولنديين، وساندته في ذلك قبائل كعب العربية في جهاده ضد الهولنديين والإنكليز والفرس، وهذا الأمير أيضاً هو الذي كان يضع الخطط بهدف القضاء على أعدائه المذكورين في جزيرة خرج.[٣٦]

وقد بدأت العمليات لتحرير جزيرة خرج من لدن المير مهنا بالقيام بعبور المضيق الذي يفصل بين جزيرتيْ خاركوة وخرج مُصطحباً خمسمئة من رجالهِ، فقام بتطويق الجزيرة، والقيام بمُحاصرة الهولنديين عام ١٧٦٥م، وقد دام حصاره لها ثلاثة عشر يوماً، وبهذا يكون أجبر الحراس المكلفين بحراسة القلعة من الهولنديين على رفع راية الاستسلام في الأول من كانون الثاني عام ١٧٦٦م، ووقعوا اتفاقاً يقضي باستسلامهم، وانسحابهم من الجزيرة.[٣٧]

لقد كانت هناك عوامل عدة سارعت في انكفاء الهولنديين وسقوطهم في منطقة الخليج، كان على رأسها ماارتكبوه في تلك الجزيرة من أعمال، أثارت بُغض العرب وكراهيتهم لهم، منها محاولتهم لممارسة حِرفة الغوص في السر, وعمدوا كذلك لجلب مستوطنين إلى الجزيرة, بعد ذلك أخذَ المير مهنا بتوجيه ضربات موجعة إلى الهولنديين في منطقة بندريق قرابة عامين ونصف، مما أدى إلى إحراج مركز الهولنديين في تلك المنطقة, واستقرار رأيهم على إخلائها عام ١٧٦٦م, وبخروجهم من جزيرة خَرْج أُسدل الستار على النفوذ الهولندي في منطقة الخليج العربي[٣٨].

**المبحث الثالث: صراع القوى البرتغالية والهولندية في الخليج العربي**

لابد لنا من أن نوسع القول في أهم مفاصل صراع القوتين الاستعماريتين البرتغالية والهولندية على منطقة الخليج العربي من أجل الحصول على مراكز قوة ومناطق نفوذ في تلك المنطقة الاستراتيجية, بعد ان قمنا بتناول الأحوال التاريخية لذلك الصراع، ويلحظ من خلال دراستنا له أنه قائمٌ على البُعدين الاقتصادي والتجاري اللذين يستهدفان فتح مناطق أسواق جديدة، إضافة إلى التحكم في الطرق العالمية للتجارة، وإحراز المواد الأولية من المواطن الأصلية لها, وهذا المبحث يهدف لعقد مقارنات تاريخية بين قوة نفوذ تلك الدولتين الاستعماريتين، والكشف في المناطق المستعمرة عن مدى سيطرة أحدهما على مُقدرات الدولة الأخرى.

---

٣٥ – هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص١٢٦– ١٢٧.

٣٦ – محمد حسين العيدروس، المصدر السابق، ص٥٩–٦٠ .

٣٧ – سليم طه التكريتي، المصدر السابق، ص٧١–٧٢.

٣٨ – بدر الدين الخصوصي, المصدر السابق, ج ١, ص ٤٠.

لقد كانت الأراضي المنخفضة على موعد مع بداية العصر الذهبي في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي بعد أن دخلت الأقاليم الهولندية حينها في حرب مع أسبانيا؛ من أجل للحصول على استقلالها، ولم يمرَّ زمن طويل حتى أضحى الهولنديون منازعين للبرتغاليين على سيادة الجزر في الهند الشرقية، إذ ساروا بخطىً حثيثة في التجارة الشرقية منذ عام ١٥٩٧م، وقد كان غايتهم من المنافسة هي الحصول على الاحتكار التجاري لبضائع تلك المناطق الثمينة، حيث كانت أغلى السلع من استيراد أوربا هي بضائع الهند الشرقية، ولم تقف هولندا عند دخولها للمنافسة من خلال احتكار البضائع، بل شمل أيضاً دخولها إلى حقول الإنتاج في جزر الطيب، وتحريض حكام مناطق الطيب ضد البرتغال(٣٩).

ويكشفُ ذلك الدوافع الحقيقية لبدايات هذا الصراع, الذي دفع تلك القوى للمنافسة على مناطق النشاط الاقتصادي والتجاري، في الخليج والشرق بعامة, وكان يُلازم هذا البعد الرئيس بعدٌ ثانٍ تمثَّل بالبُعد السياسي والعسكري الذي كانت بوصلته تتجه نحو خدمة المصالح التجارية والاقتصادية لتلك الدول, وقد كان الأسلوب السياسي لإدارة الملف الاقتصادي والتجاري حاكماً لتلك الدول من خلال نجاح هيمنتها على مناطق النشاط أو فشلها فيه.

ومن الأمور المؤكدة لاهتمام الهولنديين بتجارة الطيب أن حكومتهم أرسلت التعليمات إلى شركة الهند الشرقية الهولندية، وأوصتهم خلالها بإعطاء الأولوية لتجارة الطيب التي تبدأ منها المنافسة، وتنتهي بغرض تقوية مركز شركة الهند الشرقية الهولندية، ثم السيطرة على التجارة الخاصة بالتوابل والطيب والبضائع الأخرى، وكذلك الحد من تصرفات الإنكليز والبرتغاليين, وكانت الحكومة الهولندية قد أصدرت تعليماتها بالإيعاز بتشكيل مديرية عامة من الهنود، تتضمن أربعة أعضاء من مجلس الهند؛ من أجل السيطرة على مراكزها التجارية في آسيا واستغلال مواردها(٤٠).

لقد كان إحكام السيطرة على تجارة التوابل في (ملاقا)، وكذلك تجارة الفلفل، من الأهداف المهمة التي ركز الهولنديون جهودهم عام ١٦٠٥م عليها، ولتحقيق تلك الغاية كان عليهم تقوية الموقف العسكري والبحري في المنطقة، وكذلك فإن الهولنديين شعروا أنهم بحاجة إلى كون الأساطيل البحرية الهولندية جاهزة لتعبئة البضاعة من الموانئ الآسيوية، وقد حاولوا التوصل إلى طريق أسلم يضعهم في موقف المسيطر على التجارة الشرقية، بعد أن أثبتوا منافستهم الخطرة للبرتغاليين، وأثَّروا تأثيراً كبيراً على اقتصادهم، فالبرتغاليون لم يستطيعوا العودة إلى الاستيراد من خلال رأس الرجاء الصالح، ولم يتجاوز استيرادهم عشرة آلاف قنطار توابل كل عام، وتردى ذلك الاستيراد أكثر فهبط إلى ٣٠٠٠ قنطار، في حين بلغت

٣٩ – سير أرنولد –ت– ويلسون، الخليج العربي مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة عبد القادر اليوسف، الكويت: د. ط ، د. ت –، ص٢٧٢ – ٢٧٤؛ هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص٢٥.

٤٠ –هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص٢٦.

استيراداتهم عام ١٥٧٠م بين (٢٥٠٠٠-٣٥٠٠٠) قنطار في السنة، ومن حسن حظ الهولنديين علاقة البرتغاليين التي كانت تسير من سيِّئ إلى أسوء بالتجار في تلك المناطق، وكانت خلافاتهم تستفحل يوماً بعد يوم، وكانت شركة الهند الشرقية الهولندية قد استطاعت أن تستولي على حصون البرتغاليين واحداً بعد الآخر، فقامت سفنها باحتلال (امبوان وتيدور)، بالإضافة إلى المعاهدات التي عقدوها مع بعض السلطنات، التي تضمنت حقهم في تجارة التوابل ومنحهم الحق في إقامة الاستحكامات والتحصينات(٤١).

ويلحظ ان التحولات السلبية التي طرأت على نشاط البرتغاليين في مناطق الخليج العربي عائدةً إلى سوء إدارة الملف الاقتصادي، فضلاً عن سوء سياستهم في التعامل مع سكان المناطق التي سيطروا عليها، عكس السياسة الهولندية التي كانت تتجهُ لعقد الاتفاقيات المبنية على المصالح المشتركة، مع بعض المناطق العربية القوية كالعُمانيين مثلاً, فسياسة الترغيب _بلا شك_ هي سياسة ذات جدوى في السيطرة على المنطقة؛ لأن الشعور بالأمان يُعطي فُسحة للمُستعمر، بالتحرُك في المناطق التي تَصالح معها، وإن كان يُضمر سراً العداوة لسكان تلك المناطق، بوصفهِ مُستعمَراً غريباً عنها, لكنه يُخفي هذه الشخصية وراء غطاء المعاهدات، والتعامل السلمي مع سكان تلك المناطق.

لقد تغيرت الاساليب الهولندية العسكرية والسياسية والاقتصادية في العام ١٦٠٦م بفرضهم سياسة صارمة بالمنطقة، فراحوا يقيمون الحصار على المضايق وغيرها من الأعمال، بعد أن أدركوا طبيعة النهج الذي سار عليه البرتغاليون قبلهم، في تجارتهم مع بلدان الشرق الأقصى، إذ اعتمد الهولنديون أسلوب القرصنة والتهريب من أجل الحصول على حرير الصين، ففي العام ١٦٠٩م انتهت الحرب بين أسبانيا وهولندا، واستقرت هولندا, فبدأت تُثبت دعائمها في بعض المناطق, وقد حصلت صدامات بين الهولنديين وبين سكان المناطق المحلية؛ بسبب رفع الأسعار، واحتكار البضائع المهمة, فضلاً عن ذلك فقد قامت القوات الهولندية في محاربة البرتغاليين، في المناطق المتنازع عليها بينهم, ودارت معارك عنيفة بين الطرفين, وصلَ الأمر في تلك المعارك إلى إنهاء سُفن بكاملِها، لم يخرج منها أحد لاشتداد القصف بين الطرفين, وما أن ترسو سفينة برتغالية حتى يُسرع إليها الهولنديون ومعهم الإنكليز لاقتسام الغنائم, وقد أدى هذا التعاون الهولندي الإنكليزي إلى إضعاف قوة البرتغاليين في المنطقة, وتعرض هيمنتهم التجارية للاهتزاز منذ أوائل القرن السابع عشر الميلادي، وهكذا أصبح للهولنديين مركزٌ تجاريٌ وسياسيٌ متفوقٌ في المحيط الهندي والخليج العربي؛ بسبب عملياتهم التجارية، وتحالفهم مع الإنكليز والقِوى الأخرى.(٤٢)

---

٤١ – دولان موسينيا، تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف أسعد داغر، بيروت: د. ط، ١٩٨٧م –، ج٤، ص٦١٢، ١٨٨ – ١٨٩.

٤٢ –هيفاء عبد العزيز الربيعي، المصدر السابق، ص٢٨_ ٢٩.

لقد أدرك الهولنديون أهمية استمالة سكان المناطق المحليين إلى جانبهم، عِبر وسائل اقتصادية وتجارية، فسعوا إلى تنظيم مُقايضات لبعض السلع مع أقطار الخليج العربي، وتسهيل تبادُلها عن طريق إنشاء إمبراطورية استعمارية تجارية، ويُعدُّ ذلك أول بوادر تحول الهولنديين باتجاه الخليج العربي، وكانت بلاد فارس البوابة الأولى التي دخلوا منها, يدفعهم في ذلك تعاون الشاه عباس الأول معهم، وتشجيعهم على التجارة مع بلادهِ؛ لذلك ركز الهولنديون اهتمامهم على التجارة في تلك المنطقة, وبدأوا يتطلعون إلى احتكار التجارة فيها, إذ كان الخليج العربي مسرحاً نشطاً للتجارة الرابحة, فهو نقطة التقاء طرق التجارة المختلفة, فضلاً عن كونه مركزاً تجارياً مهماً، وسوقاً للبضائع الاستهلاكية, وطريقاً يوصل الغرب بالهند والشرق الاقصى.(٤٣)

وبذلك انتفع الهولنديون من سياسة التحالفات مع بعض القوى المسيطرة على بعض مناطق الخليج العربي كالإنكليز، وتوظيفِهم لضرب القوة المنافسة الكبرى آنذاك المتمثلة بالبرتغاليين, فضلاً عن فتح آفاق التعاون بينهم وبين حُكام مناطق الخليج العربي القوية, وباتباعهم سياسة الترغيب والترهيب والموازنة بين الكفتين نجحوا في الهيمنةِ على مناطق شاسعة من الخليج العربي, مما أدى إلى تضاؤل الوجود البرتغالي فيه.

وقد بدأ الصراع والمنافسة بين الهولنديين والبرتغاليين بعد وصول السفن الهولندية إلى المياه الشرقية, وقد عَمِلَ الهولنديون خلال العشرين سنة الأولى من نشاطهم على إضعاف البرتغاليين في مياه افريقيا والهند, في الوقت الذي كان الإنكليز يعملون على إضعافهم أيضا في مياه الخليج العربي, وقد أحرز الهولنديون انتصارات مهمة في الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادي, فضلا عمّا أوقعوه من ضررٍ كبيرٍ بالبرتغاليين في أفريقيا والهند, فقد أصبح للهولنديين في الهند ٣٧ مركزاً و ٢٠ حصناً وقلعة, ولم يمضِ ٢٠ عاماً على تأسيس الهولنديين شركة الهند الشرقية، حتى رجحت كفتهم في بحار الهند, ففي عام ١٦١٤م كان هناك ما لا يقل عن ٢٧ سفينة حربية كبيرة، تجوبُ بحار تلك المناطق, وكان معدل الأرباح سنوياً من عام ١٥٠٦م إلى عام ١٦١٤م مالا يقل عن ٣١% من الأرباح، على الرغم من مصروفات التسليح العسكرية الباهظة.(٤٤)

ومما رفع قدرة الهولنديين في منطقة الخليج العربي اعتماد السياسة البرتغالية على جمع الضرائب, في حين كان الهولنديون يعتمدون في سياستهم الاقتصادية لشركاتهم التجارية في البداية على تهريب البضائع, وكان الفرق الأساسي الذي أدخله البرتغاليون على تجارة المنطقة هو ان التجار العرب أصبحوا يتعاملون مع مُمثلي أو وكلاء دولة عسكرية استعمارية, تفرض هيمنتها بالقوة وتحدد الأسعار بالاتفاقيات

٤٣ – المصدر نفسه، ص٢٩_ ٣٢.

٤٤ – طارق نافع الحمداني وآخرون، المصدر السابق، ص٤٥.

الرسمية بين الدول, فضلاً عن أن التجارة أصبحت مُقننة بواسطة الحكومة البرتغالية، دون ان تُغير من واقع العلاقات الاقتصادية السياسية على المستوى المحلي العام. (٤٥)

ولكل ماتقدم دلَ واقع الحال على خطأ السياسة البرتغالية في إدارة الملف الاقتصادي والسياسي في منطقة الخليج العربي, وترجيح كفة القوة على كفة السياسة القائمة على كسب ود سكان المناطق الواقعة تحت هيمنتهم, وهذا فارقٌ كبير بين البرتغاليين والهولنديين, وأغلب الظن أنه كان العامل الأول الذي أسهم في أضعاف قوة البرتغاليين في المنطقة, ومن ثم إخراجهم منها ودخول الهولنديين بوصفهم قوةً جديدة غيرت من موازين القوى في المنطقة, واعتمدت على سياسة الترغيب في التجارة وترهيب العدو اذا تطلب الامر الصدامات العسكرية, وقد رفع هذا النشاط المخالف للنشاط البرتغالي من نسبة القوة عند الهولنديين وجعلهم من أهم القوى الاستعمارية المسيطرة على مناطق الخليج العربي, ولعل خير دليل على ذلك هو تحالف الإنكليز معهم على الرغمِ مما يمتلكون من دهاءٍ سياسيٍ وعسكري.

وبذلك تعاظمت السيطرة الهولندية في مناطق الشرق عامةً، وشهدت أواخر القرن السابع عشر الميلادي انتقال السيادة في مياه الشرق من البرتغال إلى هولندا، ويرجع هذا النجاح الذي حققهُ الهولنديون إلى ما اتخذوه من سياسة الترغيب قائمة على تخفيض اسعار البيع, وترهيب عبر استخدام القوة العسكرية حين يتطلب الأمر انتزاع امتيازات ضرورية(٤٦).

ولعل اهم مايُمكن الحديث عنه هو تغلُب كفة الهولنديين على البرتغاليين؛ وذلك ان السياسة التي كانوا يديرون بها الملف الاقتصادي والتجاري، والعلاقة المتبادلة بين الحاكم السياسي ومُديريْ تلك التجارة، في المناطق الواقعة تحت هيمنتهم, كانت طبيعة تلك العلاقة بين إدارات شركات الهند الشرقية وحكوماتِها الهولندية: علاقة وثيقة وقوية جداً على مايبدو؛ وذلك عن طريق منح التجار والوكلاء صلاحيات، جعلتهم يكونون بمثابة الرواد الأوائل للتجارة الرأسمالية التي بدأت تتغلغل في بدايتها الأولى، عن طريق المدن التجارية الساحلية، قبل أن تتغلغل إلى استعمار تلك الدول انطلاقاً من هذه الموانئ والمدن التجارية الساحلية، إلى مصادر الموارد الأولية والأسواق التجارية، وتكريس شعوب المستعمرات لخدمة اقتصادها الرأسمالي(٤٧).

وهذا واقعاً مايفتقر إليه البرتغاليون, فضلاً عن أن احتكار ملك البرتغال لتجارة السلع المربحة أدى إلى اضعافِ نظامهم؛ إذ لم يترك مجالاً للطبقة البرجوازية لممارسة نشاطاتِها التجارية، في حين كانت

٤٥ – محمد حسين العيدروس، المصدر السابق، ص٣٣.

٤٦ – طارق نافع الحمداني وآخرون، المصدر السابق، ص٤٦.

٤٧ – محمد حسين العيدروس، المصدر السابق، ص٣٤؛ عبد الأمير محمد أمين، دراسات في النشاط التجاري والسياسي في آسيا ١٦٠٠– ١٨٠٠، عمان: د. ط، ١٩٨٧م –، ص١٨–١٩.

تلك الطبقة أكثر نشاطاً في النظام الهولندي الذي استطاع تأسيس الشركات الاحتكارية الخاصة، وكان يربط حركة الاستعمار بقواعد عريضة ومؤثرة من الشعب والمجتمع الهولندي، مما يمنحهُ ارضية خِصبة للتحرُك, فضلاً عن عدم وجود نظام دقيق أو انضباط صارم بين صفوف أفراد البحرية البرتغالية، وتكرُّر حوادث التمرُد والخلافات بين الضباط والبحارة, وهذا عكس ما كان في البحرية الهولندية التي تمتعت بنظام صارم وانضباط دقيق, بالإضافة إلى اتباع الحكومة الهولندية للسياسة الرأسمالية في التجارة؛ إذ كانت سياسة شركة الهند الشرقية الهولندية في الفترة التي تلت انهيار السيطرة البرتغالية غير قائمة على سياسة الاحتكار السياسي العسكري، كما كانت عليه سياسة البرتغاليين؛ إذ اتبع الهولنديون مختلف الأساليب للتنافس التجاري، كما انشأوا المراكز التجارية والقواعد العسكرية، بطريقة تتناسب والنظام الرأسمالي الجديد القائم على استغلال الشعوب، وتكوين الامبراطوريات، ومنح الطبقة البرجوازية صلاحيات جديدة، وإطلاق أيديهم في المناطق التي تُهيمن عليها الحكومة الهولندية، باستغلال الشعوب، وتكوين الامبراطوريات(٤٨).

ويبدو أن مواطن التلاقي والاختلاف بين النظام الهولندي والنظام البرتغالي كان من أهم الأسباب التي جعلت كفة ميزان القوى ترجح للهولنديين في الخليج العربي، وذلك بعد شيوع انظمة جديدة مبنية على خُطط مُغايرة لأنظمة الاستعمارات الكلاسيكية التي قامَ عليها النظام البرتغالي, فضلاً عن ان مجيئ الهولنديين بعد ضُعف البرتغاليين اتاح لهم ان يتجنبوا العوائق والمطبات التي وقع بها الاستعمار البرتغالي قبلهم.

ويتضحُ ذلك في تغيير طبيعة التعامل مع سكان المناطق التي يتم الهيمنة عليها بتخفيض اسعار السلع وعقد المعاهدات التي تُغري الطرف الآخر وتجعلهُ لا يُفكر في جعل الهولنديين هدفاً لهُ, فضلاً عن نجاح الهولنديين في كسب الثقة لِقوى مُهيمنة اكثر في المنطقة ومنهم الإنكليز والفرس, وعقد المعاهدات والاحلاف لتشكيل قوى كبيرة انهت في آخر المطاف الوجود البرتغالي في المنطقة.

وهكذا انتهى الصراع بين البرتغاليين والهولنديين بهيمنة الهولنديين على مناطق شاسعة من الخليج العربي, الا ان هذه الهيمنة لم تدم طويلاً لاسيما بعد ان طرأت تحولات وتغيرات على بِنية النظام الاستعماري الهولندي, فأدت إلى تأجيج الرأي العام العربي في المناطق العربية ذات القوى التي اتجه حكامها إلى عقد الاحلاف مع قوى أخرى لأنهاء الوجود الهولندي عام ١٧٦٦م, وهذا مامرَ ذكره في المبحث الثاني من هذه الدراسة.

---

٤٨ – محمد حسين العيدروس، المصدر السابق، ص٣٤– ٣٦؛ زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام١٩١٤ دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٨م –، ص٤٨–٤٩.

## الخاتمة

**ومن خلال ما تقدم يمكن الوصول إلى النتائج الآتية:**

١- كان للعامل الديني دورٌ كبيرٌ أسهم في تحرك البرتغاليين للخليج العربي مدفوعين بالسلطة الدينية آنذاك, فضلاً عن العامل الاقتصادي الذي دفع البرتغاليين للسيطرة على موانئ الخليج العربي والهيمنة على طرق التجارة لما يتمتع به الخليج العربي من موقع استراتيجي يربطُ بين الشرقِ والغرب.

٢- لقد اتاح خروج البرتغاليين من منطقة الخليج العربي الفرصة لظهور قوىً استعمارية جديدة وظَّفت إمكاناتها التجارية والسياسية والاقتصادية والبشرية؛ لتُسجل حضوراً قوياً يُهيمنُ على مساحة كبيرة من مناطق الخليج العربي، كان الهولنديون من أهمها.

٣- كان من أهم الأسباب لنجاح الهولنديين في السيطرة على تجارة الخليج دعم الحكومة الهولندية لهم مالياً وعسكرياً, والعلاقات الحسنة التي كانت تربط الحكومة الهولندية بإدارات شركة الهند الشرقية الهولندية، وابتعاد الحكومة عن سياسة احتكار التجارة لصالحِها, وظهور نظام اقتصادي جديد سجلَ نجاحاً باهراً آنذاك، هو النظام الرأسمالي.

٤- كان ظهور حركة المقاومة العربية ضد السيطرة الأوربية في الخليج العربي مُتزامناً مع تعاقب القوى الاستعمارية عليه؛ فمن مقاومة العرب اليعاربة للبرتغاليين، وإخراجهم من المنطقة، إلى مقاومة عرب الساحل الشرقي للخليج العربي للهولنديين، حتى إخراجهم من جزيرة خرْج، آخر معاقلهم، على يد (المير مهنا).

٥- اتسم الصراع بين البرتغاليين والهولنديين بالتذبذب وعدم تساوي القوى؛ فقد رجح ميزان القوى للهولنديين على حساب البرتغاليين؛ لأسباب تعود إلى الوسائل التقليدية التي اتبعوها في فرض هيمنتهم بالقوة، واحتكار التجارة، وغلاء الأسعار، على العكس من الهولنديين الذين اتبعوا سياسة الترغيب تارة، والترهيب تارةً أخرى، بحسب طبيعة الساحة السياسية والتقلبات التي تحدثُ فيها.

٦- لقد جسد الصراع البرتغالي الهولندي على الخليج العربي جشاعة الأنظمة الاستعمارية الأوربية، من خلال رغبتهم باستغلال موارد الشعوب المستضعفة، وما في مناطقهم من ثروات، والسيطرة على طرق التجارة العالمية, واحتكار تجارة بعض المواد كالتوابل التي كانت من أهم الموارد في القارة الأوربية.

٧- لم يكن الصراع البرتغالي الهولندي إلا تجسيدا لأهمية منطقة الخليج العربي النابعة من إمكانية ملاحة السفن الكبرى فيها, فضلاً عن اعتبار منطقة الخليج العربي حلقة الوصل بين الدول الاستعمارية والهند.

## المصادر

### أولاً: الكتب العربية والمُعربة:

### أ-الكتب العربية:


١- انطوان متي، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني حتى الثورة الإيرانية، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٣م.

٢- بدر الدين الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط٢، الكويت: منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٤م -، ج١.

٣- جمال حمدان، إستراتيجية الاستعمار والتحرير، القاهرة: دار الهلال، ١٩٦٨م -.

٤- جمال زكريا قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول ١٥٠٧ــ ١٨٤٠م، القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت -.

٥- زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام١٩١٤م دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٨م -.

٦- سالم سعدون, جزر الخليج العربي دراسة في الجغرافية الإقليمية, بغداد: دار الحرية للطباعة, ١٩٨١م -.

٧- سحر أحمد ناجي, بريطانيا والخليج العربي خلال الحرب العالمية الأولى, بغداد: دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع -.

٨- سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج العربي، بغداد: د. ط، ١٩٦٦م -.

٩- سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢م -.

١٠- صباح إبراهيم الشيخلي وآخرون، دراسات عن تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية، جامعة البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٥م -.

١١- صبري فارس الهيتي، الخليج العربي دراسة جغرافية السياسية، ط٢، بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.

١٢- صلاح العقاد, التيارات السياسية في الخليج العربي, القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية, ١٩٧٤م -.

١٣- طارق نافع الحمداني وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، بغداد: دار الورَّاق،٢٠١٠م.

١٤- عبد الأمير محمد أمين, المصالح البريطانية في الخليج العربي١٧٤٧-١٧٧٨م -, بغداد: مطبعة الإرشاد, ١٩٧٧م.

١٥- عبد الأمير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد: د. ط، ١٩٦٦م.

١٦- عبد الأمير محمد أمين، دراسات في النشاط التجاري والسياسي في آسيا ١٦٠٠- ١٨٠٠، عمان: د. ط، ١٩٨٧م .
١٧- عبد الرزاق الفهد, تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر, بغداد: د. ط, ٢٠٠٤م -.
١٨- عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩١م -.
١٩- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، الرياض: د. ط، ١٩٨٠م -.
٢٠- عبد العزيز عوض, دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث,بيروت: دار الجيل, ١٩٩١م -, ج١.
٢١- قدري قلعجي، الخليج العربي بحر الأساطير، ط٣، بيروت: شركة المطبوعات، ١٩٩٥م -.
٢٢- محمد العريس، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني -، بيروت: منشورات دار اليوسف، ٢٠٠٥م -.
٢٣- محمد حسين العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط٢، الكويت: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٨م -.
٢٤- محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، عمَّان: دار الإسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م -، ج١.
٢٥- مصطفى النجار وآخرون، تاريخ الخليج العربي المعاصر، البصرة: جامعة البصرة، ١٩٨٢م -.
٢٦- هيفاء عبد العزيز الربيعي، الغزو الهولندي للخليج العربي، الموصل: مطابع دار الكتب، ١٩٨٩م .

**ب-الكتب المُعربة:**

١- ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر، الدوحة: د. ط، ١٩٦٧م -، ج١.
٢- دولان موسينيا، تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف أسعد داغر، بيروت: د. ط، ١٩٨٧م -، ج٤.
٣- سير أرنولد —ت- ويلسون، الخليج العربي مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة عبد القادر اليوسف، الكويت: د. ط ، د. ت -.
٤- سير أرنولد —ت- ويلسون، تاريخ الخليج العربي، ترجمة محمد أمين عبد الله، لندن: دار الحكمة، ٢٠٠١م

**ثانياً: البحوث العلمية:**

١- عبد الأمير محمد أمين، دور القبائل العربية في صد التوسع الأوربي في الخليج العربي، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ، بغداد: مطبعة أسعد،١٩٧٤م -.
٢- علي غنام، أحداث فاصلة في إحتلال النفوذ الأجنبي بالخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي -، مجلة -، العدد٢، البصرة، ١٩٨٥م.

٣- محمود علي الداوّد, تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي١٦٣٠-١٧٦٠, مجلة كلية الآداب -, مجلة -, جامعة بغداد, العدد٣ -, كانون الثاني ١٩٦١م.